في طريقها الى ابتلاع الهويات القومية :

العولمة .. وثنٌ هشٌ لكنه محاط بهالة صلبة من هيبة القوة الاقتصادية

د. هشام غصيب *

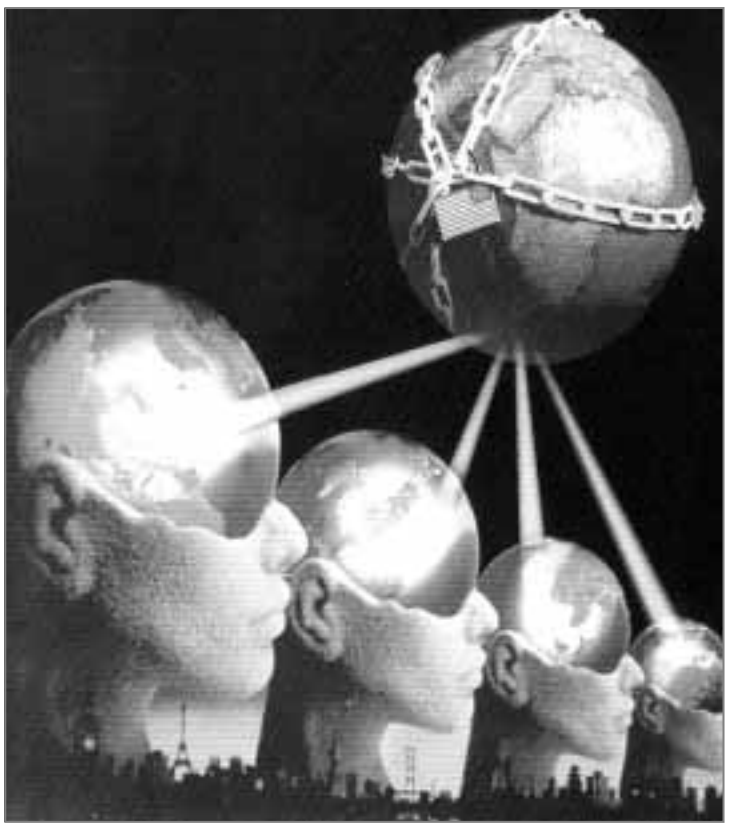

العولمة والهوية القومية

لكل عصر وثنه ، ووثن عصرنا هو العولمة ، والوثن ليس واقعا بقدر ما هو وهم أيديولوجي وقفص فكري للجم الفعل والممارسة وتقييدها، لكنه ، مع ذلك، ليس معلقا وحده في الأثير ، وانما يرتكز الى واقع فعلي وينبع منه ويعبر عن اغترابه وزيفه وبشاعته ، فما هو هذا الواقع الفعلي الذي يشكل أساس هذا الوثن الأثيري الذي تروجه الامبريالية الثقافية في العالم ؟

إن الاجابة عن الجدية عن هذا السؤال تستلزم أولا تفكيك هذا الوهم ، على طريقة ماركس وليس على طريقة دريدا ، وتبديد عناصره واختراقه صوب هذا الواقع المعقد ، فإذا تسنى لنا ان نفعل ذلك ، تبين لنا أن هذا الوثن انعكاس مقلوب للواقع ، يمارس باسمه عكس ما يدعو اليه ويزعمه ، فمثلما سخر في الماضي القريب وثنا الاشتراكية والديمقراطية تبريرا لأكثر الممارسات والنظم استغلالا واستبدادا وقهراً ، فإن وثن العولمة يسخر اليوم تكريسا لنظام الجوع والبطالة والاحتراب الاهلي وتدمير البيئة وتهميش مليارات البشر وتفكيك الأمم في الاطراف وترسيخ العنصرية والتحيزات الموروثة وضيق الافق الإثني والتعصب الطائفي، وأخطر مايسخر من أجله هو تفكيك الوعي الاشتراكي الثوري والقومي التحرري ، فإذا ما تجاسر المرء هذه الأيام وتكلم عن التغيير الثوري وتخطي الكائن الرأسمالي صوب الكامن الاشتراكي ، أو عن التنمية الوطنية والقومية ، أو عن تحرير الارض والموارد والانسان ، أو عن الوحدة القومية ، أو عن الادارة الاشتراكية للانتاج ، ارتسمت على وجوه الحضور ابتسامة شفقة وازدراء ، وتهامسوا في ما بينهم معتبرين المتكلم خارج التاريخ ورومانسياً حالما يعيش الماضي الوردي ، وذلك كله بالطبع باسم العولمة وما يرتبط فيها من تقانة متطورة كالحاسوب والانترنت وثورة الاتصالات ، ولا يقتصر هذا الموقف على اوساط اليمين التقليدي ، وانما يتعداه الى اوساط اليمين الجديد «اليسار سابقا» فالعولمة لدى هذه الاوساط تعني الأممية الجديدة وذبول الدول الوطنية اللذين عجزت الحركة الشيوعية العالمية عن تحقيقهما ، إنها نهاية التاريخ ومحصلته وضمان الرخاء والديمقراطية وحقوق الانسان والمجتمع المدني ، واي حركة تقف أمام هذا المد الجارف إنما هي حركة رجعية رومانسية واهمة مصيرها الجمود والاستبداد فالانهيار ، والغريب ان هذا الخطاب نجده أقوى ما يكون لدى بعض اوساط اليسار التقليدي ، لكن ربما ان الأمر ليس بهذه الغرابة ، فالمغلوب ينزع دوما الى تقليد الغالب والتمثل به والانصياع لهيبته ، لكن قوة هذا الخطاب لاتاتي من ذاته ، فهو خطاب لامنطقي متهافت ، وإنما تاتي من قوة الواقع المغترب وشدة اغترابه ، فحتى مفكر ماركسي معروف بقدراته النقدية الفائقة كصادق جلال العظم نجده يؤكد بعض جوانب هذا الخطاب الجارف بمجد بصورة غير مباشرة العولمة ويعتبرها تيارا جارفا لن يقوى احد على مجابهته ، بل ومن العبث مجابهته ، وذلك في مقالة له نشرت في مجلة الطريق منذ بضعة أشهر ، ان العولمة وثن هش ، لكنه محاط بهالة صلبة من هيبة البرجوازية الغربية المتجبرة ، الأمر الذي يعقد عملية تفكيكه والنفاذ منه صوب الواقع لكن صعوبة المهمة لا تلغي ضرورتها فنلقي الضوء على بعض ما نعتبره مغالطات بصدد العولمة في سياق تفكيك هذا الوثن .

بأي معنى تعد العولمة مرحلة جديدة وعهدا جديدا ؟ ألم تنشأ الرأسمالية معولمة ؟ ما الجديد في عولمة الخمس الأخير من القرن العشرين ؟ أليست المؤسسات التي تحمل راية العولمة وتنظم العولمة وتعززها ، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي والجات والمنظمات التابعة لهيئة الأمم، وليدة حقبة الحرب الباردة ، وليدة اتفاقيات بريتون وودز والهيمنة الامريكية على الاقتصاد العالمي ؟ ثم ألم تبدأ التدفقات الكبرى للرأس مال خارج حدودها القومية منذ الثلث الأخير للقرن التاسع عشر؟ أين الجديد إذن في العولمة؟

يبدو لي ان العولمة ان هي إلا مجموعة مترابطة من الظاهرات العالمية الجديدة الناتجة عن جملة من التراكمات القديمة، ولعل في مقدمة هذه الظاهرات :

● لقد اتاحت ثورة الاتصالات والمعلومات الفرصة أمام الرأسمال النقدي للتدفق والتداول عالميا بصورة غير مسبوقة ، بحيث أضحت تحولات الاموال السائلة تفوق حجم التجارة الدولية بأكثر من ستين مرة ، وقد جاء هذا التدفق الهائل انقاذا مؤقتا للنظام الرأسمالي العالمي ، ولكن على حساب نمو الانتاج الفعلي وتقدمه ، من ثم فهناك نمو سرطاني للممارسات الطفيلية غير الانتاجية على حساب العمل المنتج ، انه نظام في طور التعفن ، بعكس ما تدعيه ابواق دعايته من انه نهاية التاريخ وقمته والنظام الطبيعي لتنظيم الحياة ، انّه في الواقع تعبير عن ادارة أزمة الرأسمالية المتفاقمة منذ منتصف السبعينيات ، وليس حلا لها ،

● اتاحت ثورة الاتصالات والمعلومات المجال لعولمة الانتاج وعولمة تقسيم العمل ، بحيث لم يعد تصدير رؤوس الاموال وانتقالها مقصورا على الرأسمال التجاري. وانما أخذ يشمل أيضا الرأسمال الانتاجي ، الأمر الذي مكن البرجوازية من افراغ المنظمات العمالية القومية من مضمونها وتجريدها من فاعليتها،

● وصل تفكيك نظم الانتاج ما قبل الرأسمالية الى حد ان أضحى الغالبية الساحقة من سكان الكرة الارضية منخرطين في آلة الانتاج والتوزيع الرأسمالي ، كما أدى ذلك الى توسع هائل في عدد أفراد الطبقة العاملة على الصعيد العالمي ، والى تفوقها العددي على الطبقات المنتجة الأخرى على الصعيد العالمي لأول مرة في التاريخ، ومع تنامي جيش الاحتياط العمالي وعولمة الانتاج، أتيح المجال لتخفيض أجور العمال في المراكز والأطراف ، وتزايدت نسبة البطالة بصورة مريعة .

● برز دور الشركات المتعدية الجنسيات العملاقة بصورة صارخة في العقد الأخير ، فهي تتحكم الآن بثلاثة أرباع الأنشطة الاقتصادية على الصعيد العالمي ، وتشير الاحصاءات الى ان دخل خمسين من هذه الشركات يفوق دخل ثلثي اقطار العالم .

● يعمد الرأسمال العالمي المعولم الى تفيك دول الاطراف وأممها التي تشكلت في المراحل السابقة بفضل الثورات الاشتراكية وحركات التحرر القومي ، على أسس إثنية وطائفية ضيقة تصب في مصلحة السوق العالمية على حساب السوق القومية والتنمية الوطنية .

● شهد عصر العولمة تناميا ملحوظا في تجارة المخدرات والجريمة المنظمة عالميا وتداخلهما مع الرأسمال النقدي.

● تدل الدرسات على ان أثر العولمة على البيئة أثر كارثي ، اذ غدت الكرة الارضية برمتها مهددة بالدمار الشامل .

● دشن عصر العولمة بإزالة الاسوار والقلاع الاشتراكية والوطنية التي كانت تحد من حرية حركة الرأسمال والشركات والمؤسسات المتعددة الجنسيات ومن ساحة فعلها فالعولمة كالطوفان تجرف أمامها وأمام فوضاها أعتى السدود والصروح .

ان هذه الظاهرات التي تشكل في مجموعها ما نسميه العولمة كانت موجودة في المرحلة السابقة ، لكنها لم تكن تحتل المركز الذي تحتله اليوم ولم تكن بارزة الى هذا الحد الصارخ ، لذلك فهناك مبرر حقيقي لاعتبار الفترة التي ابتدأت بمنتصف الثمانينيات طورا جديدا بالمعنى الجدلي من اطوار الرأسمالية، طور العولمة، لكن دخول الرأسمالية في طور جديد لا يعني انها تغلبت على تناقضاتها وأزماتها الجوهرية ، وانما افلحت فقط في تأجيل الانفجار بتوسيع مجال هذه التناقضات والازمات وتعميقه ، لكن هذا التأجيل ، الذي تستفيد منه البرجوازية العالمية، يأتي على حساب الطبقة العاملة العالمية وحساب بيئتها ومجالها الحيوي، وبهذا المعنى فإن العولمة قد تكون منقذا مؤقتا للبرجوازية ، لكنها بالتأكيد وبال على الطبقة العاملة والأمم المسحوقة ، انها هجمة جديدة للرأسمال على الطبقة العاملة والامم المسحوقة على الصعيد العالمي تسعى الى تفكيك المنظمات والاطر والحواجز العمالية والقومية والتنموية التي سبق ان بنتها الثورات الاشتراكية وحركات التحرر الوطني لحماية الطبقات الكادحة والأمم الناشئة من تغول الرأسمال وفوضاه المدمرة ، وقد سخر الرأسمال المعولم من أجل ذلك أدوات متنوعة لتحقيق ذلك ، وفي مقدمتها الحصار الاقتصادي والمديونية ووصفات صندوق النقد الدولي واتفاقيات الجات ، وكما جاء في الخلاصة التي توصلت اليها المحكمة الدولية للشعوب في حكمها ضد مجموعة السبع G7 الصادر في طوكيو عام ١٩٩٣م بخصوص التكيف الهيكلي ، فقد كانت نتيجة هذه الهجمة العاتية :

● ارتفاع البطالة في كل مكان .
● انخفاض عوائد العمل .
● تفاقم التبعية الغذائية لبلدان عديدة .
● تفاقم تدهور ظروف البيئة تفاقما خطيرا على الصعيد العالمي .
● تدهور النظم الصحية والتعليمية .
● تفكيك نظم انتاجية في العديد من الاقطار .
● وضع عوائق متصاعدة امام تدعيم النظم والمؤسسات الديمقراطية .
● استمرار تضخم عبء الديون الخارجية .

وأحيلكم في هذا الصدد الى كتاب سمير امين «في مواجهة أزمة عصرنا» الصادر عام ١٩٩٧م .

إن العولمة هجمة رأسمالية نمطية تسعى الى تفتيت الامم في الاطراف وتذرية الطبقات العاملة ، ومن ثم خلق كومة من العمال «الاحرار» بمعنى الذين لايربطهم ببعضهم رابط والذين يرتبطون بشروط حياتهم كليا عبر السوق الرأسمالية العالمية المعولة ، ان البرجوازية العالمية تحاول ان تبرر هجمتها الشرسة على مكتسبات الشعوب والطبقات الكادحة ، التي راكمتها في المراحل السابقة ، بالادعاء ان تفكيك مؤسسات القطاع العام وأطره وحواجزه هو شرط من شروط الكفاءة الاقتصادية والفاعلية والانتاجية والدينامية التكنولوجية العالية ، وان هذه المؤسسات والاطر هي كيانات طفيلية مكلفة تقود الى الجمود وتعوق حركة الاقتصاد اما الشعوب والطبقات الكادحة فتدرك جيدا ان الحل لايكمن في إزالة القطاع العام ، وانما توسيع فعله واصلاحه اداريا ودمقرطته ووضعه تحت الرقابه الشعبية والمؤسسات الشعبية الديمقراطية ، وفي الأطراف بالتحديد ، فقد كان أثر تفكيك القطاع العام ، أو ما يسمى الخصخصة ، كارثيا على عدة صعد ، من حيث دوره في تخفيض مستوى الاداء الانتاجي والخدمي ، ومستوي معيشة العاملين ودخلهم ، والارتفاع الكبير في نسبة البطالة وتفكيك السيادة الوطنية والقواعد الانتاجية ، كل ذلك يدل على ان العولمة وما يصاحبها من اجراءات ليست سوى استمرار للهجمة الرأسمالية على الأمم والطبقات الكادحة في ظروف ثورة الاتصالات والمعلومات وانحسار حركة الثورة العالمية ،

وهي تتيح المجال للرأسمال العالمي للحد من نزعه انخفاض معدل الربح ولخلق شروط أفضل لاستغلال الأمم والطبقات الكادحة .

وهنا نتوقف عند ثلاث نقاط مترابطة :

● راجت في كثير من الاوساط مؤخرا مقولة ان الدولة القومية فقدت المبرر الرأسمالي لوجودها في عصر العولمة واصبحت عبئا على الاقتصاد الرأسمالي تسعى الرأسمالية الى تفكيكه وازالته ، وكان الرأسمالية افلحت في تحقيق ما حلمت به الاشتراكية وما عجزت الأخيرة عن حقيقه لكن اصحاب تلك المقولة يتناسون ان الرأسمالية نشأت معولمة من رحم التجارة الدولية ، وانها مع ذلك عملت على نشوء الدولة القومية في المراكز الرأسمالية ، وكان للدولة القومية دور أساسي في ترسيخ الرأسمالية وهيمنتها في المراكز وعلى الأطراف وهم يتناسون أيضا ان طور الامبريالية ، الذي ابتدأ عام ١٨٧٠م وشهد تقسيم الكرة الارضية بين المراكز الرأسمالية الكبرى وتصديرا غير مسبوق في الرأسمال ، شهد ايضا توسعا غير مسبوق في اجهزة الدولة القومية المركزية ونطاق فعلها ونفوذها ، فالعولمة اذا لاتدل على ان الدولة القومية فقدت مبرر وجودها لدى الرأسمال ، فالرأسمالية لاتستطيع البتة ، وبحكم جوهرها وفي أطوارها كافة ، الاستغناء عن الدولة القومية ، الضامن الاكبر لنظام الملكية الخاصة وهيمنة البرجوازيات القومية المركزية .

ان الطور الجديد للرأسمالية ،طور العولمة يعزز وجود الدولة القومية في المراكز الرأسمالية ، لكنه يتخطاها ويعتبرها غير كافية لتلبية حاجاته السياسة والاقتصادية ، ومن ثم يعمد الى خلق أطر سياسية جديدة معولمة ، ولا اقول «أممية» تكمل وظيفة الدولة القومية المركزية، ومعنى ذلك ان الرأسمال المعولم يستلزم تغيير بعض وظائف الدولة القومية المركزية ولايكتفي بها ، وانما يعمد الى خلق أطر سياسية واقتصادية معولمة تكملها وبالطبع فإن عدم الاكتفاء بالشيء لايعني الاستغناء عنه ، وتتضح هذه النقطة تماما اذا طرحنا على انفسنا السؤال الآتي : من الذي يتحكم بالرأسمال المعولم والدولة القومية المركزية معا ؟ ونجيب: ان الذي يتحكم بهما معا هو البرجوازيات القومية المركزية ، التي نشأت قومية وبالتلازم مع الدولة القومية وما زالت تحمل ملاحمها وسماتها القومية ، ان هذه البروجوازيات هي التي خلقت المؤسسات الدولية والمعولمة وهي التي تسيرها اليوم لصالحها ، وقد أوجدت هذه البرجوازيات مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية مشتركة بينها تعبر عن مصالحها المشتركة وتسخر منابر للتنسيق بينها في ادارة نظام الاستغلال الرأسمالي ، فمن الذي يتحكم بمؤسسات بريتون وودز ، كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي والجات ومؤسسات التنمية المعولمة ، سوى مجموعة G 7 أي مجموعة البرجوازيات الامبريالية الرئيسية في عالم اليوم ؟ وتعد الدولة القومية المركزية ذراعا مهما من اذرع هذه البرجوازيات القومية ، لكنها ليست الذراع الوحيدة.

ان هذه البرجوازيات متعددة الاذرع لكن ذلك لايعني انها مستعدة للاستغناء عن ذراعها الرئيسية التي تكونت بها ومعها .

● وبالمقابل فإن العولمة تنزع الى تفتيت الأمم والتكتلات القومية في الاطراف على أسس إثنية وطائفية ضيقة فهذه التكوينات القومية يعدها الرأسمال المعولم عائقا وحاجزا أمامه وامام السوق العالمية التي يهيمن عليها ، لذلك يسعى الى تكسيرها وتفتيتها ، فإنه من الاسهل عليه دمج الكيانات الاثنية والطائفية الهشة في السوق العالمية والمعولمة من دمج الأمم والتكتلات القومية الكبيرة فيها ، لذلك رأيناه يؤدي دورا اساسيا في تفتيت الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، ويسعى الى تفكيك الهند والعراق والسودان ومصر والجزائر وغيرها من الدول العربية والافريقية والاسيوية ، وفي الوطن العربي وافريقيا المفتتين أصلا ، فإنه يسعى الى مزيد من التفتيت والبلقنة داخل القطر الواحد والاقليم الواحد ، يساعده في ذلك تلاحمه واشتراكه في الهدف مع المشروع الصهيوني ، لكن نزعة التفتيت القومي في الأطراف لدى الرأسمال المركزي ليست بجديدة ، إذ منذ دخول الرأسمالية مرحلة الامبريالية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وهي تسعى الى تفتيت أمم الاطراف وخلق الآليات للحيلولة دون تحقيق وحدتها على أسس تنموية جديدة تنسجم وروح العصر ، ولئن أخفقت الامبريالية في مطلع القرن العشرين في تفتيت روسيا بفضل ثورة اكتوبر الاشتراكية ، فإنها افلحت في ذلك تماما في الوطن العربي وفي أماكن أخرى من الأطراف ، وجاءت ردة الفعل هذا النزوع الامبريالي على صورة ثورات اشتراكية وحركات تحرر قومي في الاطراف ، ووضعت هذه الثورات والحركات نصب عينيها قومية على أسس تاريخية وثقافية وتنموية مكينة إذ أدركت أن لا معنى للتنمية المتمحورة حول الذات والمعطلة لآليات التخلف الرأسمالية ولا معنى للتقدم الذي يوفر ارضية الحرية والاخاء والمساواة إلا ضمن إطار قومي واسع يأخذ وحدة التاريخ والثقافة بعين الاعتبار ان مفهوم الوحدة القومية الثقافية هو مفهوم تنموي تحديثي بامتياز ، وقد حققت هذه الحركات نجاحات مهمة على هذا الصعيد ، وخصوصا في الدول الشيوعية «الاتحاد السوفييتي ، الصين ، فيتنام ، يوغسلافيا ، تشيكوسلوفاكيا» إلا أن اخفاق البروليتاريا الغربية في تحقيق ثورتها الاشتراكية وشراسة الهجمة الرأسمالية التي توجت بالعولمة حالا دون اكمال المسيرة وترسيخ الانجازات التنموية ، كما أنها أغرقت الحركة الشيوعية وحركات التحرر الوطني في بحر من التناقضات والثغرات الداخلية التي فجرتها من الداخل وأدت الى انحسارها وتراجعها الكارثي التراجيدي ، فتفكك الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا وتشيكو سلوفاكيا وتعرض الوطن العربي الى الحصار ومزيد من التفكك والاحتراب الداخلي ، وهذا ما حصل ايضا في افغانستان والدول الافريقية .

ان الرأسمال المعولم يسعى بالتأكيد الى تدمير مكاسب الشعوب والطبقات المحكومة ، وفي مقدمتها المنظمات العمالية في المراكز والتكتلات القومية التنموية في الاطراف ، والنتيجة تزايد الهوة الفاصلة بين المراكز والاطراف بصورة مريعة وعلى جميع الصعد.

● هناك لغو كثير يدور حول الشركات المتعددة الجنسيات ويعمد الكثيرون إما الى إغفال دورها في حياتنا المعاصرة وإما الى تمجيدها واعتبارها المنقذ الاكبر بصفتها تجسيدا لثورة الاتصالات والمعلومات ، وعليه فإنه من الضروري اماطة اللثام عن وجه هذه الكيانات الاقتصادية التي تتحكم بأكثر من ثلاثة ارباع الانشطة الاقتصادية العالمية.

لقد نشأت هذه الكيانات العملاقة بين الحربين في المراكز الرأسمالية رد فعل على الازمة الخانقة التي مرت بها المراكز الرأسمالية في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ، وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بدأت هذه الكيانات تتعمم عالميا وتنتشر في سائر انحاء المعمورة لكنها لم تبدأ تدرك قدرتها على التحكم عالميا بالانتاج والمال الا في الثمانينيات وارتكازاً الى الحوسبة وثورة الاتصالات والمعلومات .

ومرة أخرى نسأل : ما هي القوى الاجتماعية العالمية التي تتحكم بها وتحركها ، ومن ثم تحرك السوق العالمية والاقتصاد العالمي ؟ انها ليست سوى البرجوازيات الامبريالية ، البرجوازيات القومية المركزية ، برجوازيات G7 ان هذه البرجوازيات القومية التي حملت المشروع الرأسمالي على اكتافها منذ بدايته وعممته عالميا ، تسخر هذه الشركات العملاقة ادوات في شفط الثروات وفائض القيمة من الأمم والطبقات الكادحة على الصعيد العالمي ، مثلما تسخر دولها القومية ادوات في ادارة ازمة الاقتصاد الرأسمالي وفي اخضاع الطبقات والأمم الكادحة ، هذا هو السر الاجتماعي الاقتصادي لهذه الشركات المستترة خلف غابة كثيفة من التكنولوجيا الباهرة .

وخلاصة القول هنا ان النظام الرأسمالي العالمي هو نظام عدواني استغلالي مدمر يزداد وحشية وعدوانية وهدرا للموارد، وهو يخفق في تلبية الحاجات الأساسية المادية والمعنوية لغالبية البشر اليوم . ومن ذلك تنبع ضرورة البديل .

● كاتب عربي

غروب بمعنى الروح

محمد محمد ابراهيم

أفكلما تنفي ظلال الحلم
عن كفيك ؟!
ينهض حلمك المدفون
يصحو
من
جديد .
****
فامض
لعمرك ما اجترار
الريح
يهوى ليلك
المعزوف في
صمت
الأماني
واخضرارك
ينسج الأشواق
– أوردة لرحلتك
الوليدة
في غبار
الشعر –
يقذف خلف
بركان
الضنى
مرعى
وأودية
لعشق
الروح .. !
يا هذا – لكم
يبدو مساؤك حالكا
مشروخ
رغم مضاجع الاحلام
– عشقك
في اتساع
الجرح
يبدو ذائبا في
الماء
يسري في دمائك
يمتطي من ما
تبقى
في مدامع حبرك
الظمآن
يسري مثقلا في
ظله المأفون
حزنك بسمة
غربت
بمعنى الروح يا
هذا
ودونك من
يعيد .. ؟!
لكم تخطو عليك
الشمس خائفة
وتذرو خطوها حمما
وهمس الخوف يرقب ليل
حزنك من بعيد.
***
ما أنت تسكر من أباريق
الضحى
إلا وقود
الليل
أيها الناعي لحلم
اللحظة الأولى
تئن مع ارتحالك .. في نسيج
الغيم
كم يا أيها المفتون ترحل صامتا
والحزن من مقل المساء
مولولاً يشدو
بعاصفة النشيد ..
يدب في زهر ابتسامك
فوق جمرك
واحتراقك
يا أنيناً لا يرى غير
ابتسام
يغزو عتمة فجرك
المبعود
في سلس
الجليد .
***
يا هذا
لكم يرعى سواد الليل
حلمك
بعد أن تخطو عليك
الشمس
خائفة
وتذرو
همسها
.. !
دونك
وهمس الشمس
يا أمل الزمان المر
يكفي
من تباريح الأسى
ما زالت الأيام
ساكرة
بشهقة حلمك
المنثور
في قلق الوريد
.
***
فارجع فما زالت
ليالي الصمت
تذور حبك
المقهور
ناسجة
رداء
الليل
دفئاً
لابتهاجك
في الحديد .
ستظل أنت
مطاردا
و
مطاردا
و
مساوم
الأمل المبعثر
في تراتيل
القصيد .. !

■ صنعاء١٢/١٢/٢٠٠٣م .

أينع الحب

حاتم محسن

اينع الحب في فؤادي غراما
ملك النفس واعتراني حنين
اسقم الشوق مهجتي وبراني
مثل عود دارت عليه السنين
ايها الحب ياشعاعاً مضيئاً
تهتدي إن سارت اليه السفين
ايها الحب يامراتع شدوي
يا رياض الهنا أتاها سجين
يا دواء للحقد في كل عصر
انت ثدي يأوي اليه الجنين
لغة انت للبرايا جميعاً
أنت دين به البرايا تدين
انت ودٌ ورحمة ،انت عطفٌ
انت ماء ، تنفسٌ ، انت طينٌ
انت لحنٌ منغمٌ أنت شعر
انت درٌ على الغواني ثمينٌ

خواطر

(أثر ورقة)

رانيا المزنعي

● أيا وريقات الخريف إلى أين تذهبين وتحومين باكية؟!
ثم ترحلين إلى غير مكان! هل زينت أغصان الشجر وتنكر لك برحيل
ليحل مكانك أخريات؟!
أتصدقين!؟
أنك تذكرينني بقصتي لدرجة كبيرة والفرق أنك جَماد متحرك وأنا إنسانه
أرهقها الزمن...
أريد أن أسألك؟! إلى أين تذهبين!
إلى شجرة أخرى! أم إلى غصن جديد؟
لكني أراك تقتلين نفسك تحت أقدام المارة أو في حضن النهر أو ترحلين مع الريح
وتقبعين مكانك تصفرين فتتمزق أشلاؤك لتصبحي أثر ورقة!؟
فأرى في عزة نفسك بأنك لاتموتين راكعة تحت جذع الشجرة فهل أتبع خطواتك ...! أم ماذا؟
والسبب أني قد بعت من مالك قلبي وجسدي.
فقد كان معطفي وسفير دربي ولكن تمزق من جسدي وذهب إلى جسد عار من الأخلاق ليستر عليه
وتركني دون مأوى! هل أنطقك الزمان بعد ما بعت قلبك؟ أين كان هذا من زماني!
وأخذت بطبيعتك ولم أركع خاشعة له .. أشعر ببرد وجوع مميت ولكني لن أعود
فأعز علىَ نفسي الموت بالتراب دون اللجوء إلى مأوى ممزق.
ها أنا أتجول بين المقابر وأتخيل أين سيكون ترابي هنا أو هناك كي أشنق به روحي وينتهي به جسدي كما تفعلين يامعلمتي!
وشكراً لك فقد علمتني كيف أحب النهايات المؤلمة بكبرياء دون الرجوع إلى جنتي المزيفة، فقد أرتاح بين ترابي وأخلد لذكرك ولا تنسي أن تحيطي بمقبرتي وتحفيني بألوانك الشاحبة.

فنانة تضفي الحياة على مادتها وتبعث فيها الحيوية والانطلاق

التشكيلية أماني زهران: المكان يؤثر في أعمالي .. وبتغيره ابتكر أشكالي

الأواني التي رسمتها بدت متوحشة في عين أبي

القاهرة/ الثورة:

● «أماني زهران» نشأت فى بيئة فنية حيث كان والدها الفنان «زهران سلامة» ومرسمه فى حي الغورية .. و من هناك كانت تتفتح عينها على الألوان و الظلال والأضواء على الكتلة والخط والإنحناء. ومن الزهور عندما تتفتح والأباريق عندما تشربت والأوانى الفخارية التى تنهض بكتلتها متحدثة عن وجودها .. كانت تكوينات عناصر اللوحة .. فكرة جديدة أن تستوحي الأشياء .. الطبيعة أن تتحول إلى تكوين فني داخل اللوحة لا ينبىء أو ينبض بالحياة فقط من خلال التفاصيل و إنما تنبئ عن ذات الفنان الذى أبدع.

وترى الفنانة أن التنوع قائم من خلال الوحدة و الاختلاف فوحدة المفردة إذا كانت زهرة أو أبريقاً أو آنية تنبئ عن التنوع من خلال الاختلاف فى الموقع أو الحجم من خلال التجاور أو البعد .. فتحقق ثراء فى التشكيل والرؤية و الإحساس لا حد له ، ومن الوحدة والتنوع الاختلاف والتباين والتفاصيل الصغيرة والكليات وتضفي الفنانة الحياة على مادتها وتبعث فيها الحيوية و الانطلاق.

عن سبب تمسكها بالطبيعة الصامتة في أعمالها تقول: الطبيعة الصامتة في وجهة نظري هى تعبير صادق عن التراث، فعندما نستخدم مثلاً مجموعة ألوان فى رسم مجموعة من الأواني الفخارية فنشعر فيها أنها شخصيات حية أمامنا لها عيون وأنف وأذن فهنا تنبض منها الحياة وأيضاً الذى صنع هذه الأواني أيدي فنان، فلم تصنع من خلال آلة أو ماكينة ، ولذلك نشعر فيها أكثر بالفنان وإبداعه .. وفي رأيي أن كل فخارة لها شخصيتها .. وليست كل فخارة مثل الأخرى.

اللون الأحمر

وعن إحساها بالألوان تقول: فى بادئ الأمر استخدمت الأقلام الرصاص .. وفي هذه النوعية من الأقلام تحد كبير فى رسوماتي حتى بدأت فى استخدام الألوان الطباشيرية ، فأعطتنى انطلاقة واسعة واستطعت أن أعبر عن كل ما بداخلي من أفكار ، من ناحية أخرى يأخذ عليَ البعض اهتمامي باللون الأحمر في لوحاتي باعتباره مقصوداً وهو اعتقاد خاطئ فاللون الأحمر لم يستخدم كثيراً داخل لوحاتي، بل يستخدم للضرورة القصوى، فعندما أردت رسم شادر كخلفية فأردت أن تتشابه الأواني الفخارية معه وتتناسق معه فى اللون وفي الشكل و إن كنت أرى أنني ورطت نفسي في ذلك، وعندما أردت فى بعض اللوحات التي تمثل المناطق الشعبية القديمة فسلطت شبه أشعة شمس لأننا في المعروف أن الشمس دائماً ما تكون ساطعة فى مصر هذا أيضاً من نتاج تأثري بالبيئة.

الأواني الفخارية والإعتماد عليها كعنصر مشترك فى أكثر لوحات "أماني زهران" وتقول عنها: كان والدي يرى أنني رسمت الفخارات وصورتها بصورة متوحشة! وذلك لإصراري على تكبير أحجامها عن الحجم الطبيعي .. وقد بدت له وكأنها وحوش عندما رسمت هذه الأواني على ورق متر×متر وربع هى مساحة كبيرة عن الحد المعقول.

للأماكن تأثير كبير على الفنان، وعن المكان في حياة أماني زهران الفنية قالت: من خلال نزولي مع والدي، وبحكم عمله كفنان إلى منطقة الجمالية والغورية والأزهر تأثرت بالطابع الفني والمعماري، فمجرد تواجدي في مكان يؤثر على طبيعة لوحاتي، وإذا تغير هذا المكان، ابتكر شكلاً آخر من اللوحات.